هٰـــذَا عِـــتَـــابُـــكَ إلَّا أَنَّـــهُ مِـــقَـــةٌ
قَـــدْ ضُـــمِّـــنَ الـــدُّرَّ إلَّا أَنَّـــهُ كَـــلِـــمُ(١)

كريم الكرام

أرسل شاعر إلى الأمير أبياتاً يذكر فيها فقره ويزعم أنه رآها في النوم، فقال أبو الطيب:

[الخفيف]

قَـدْ سَـمِـعْـنَـا مـا قُـلْـتَ فِـي الأَحْـلَامِ
وأَنَـلْـنَـاكَ بَـدْرَةً فِـي الْـمَـنَـامِ(٢)
وانْـتَـبَـهْـنَـا كَـمَـا انْـتَـبَـهْـتَ بِـلَا شَـيْ
ءٍ وَكَـانَ الـنَّـوَالُ قَـدْرَ الْـكَـلَامِ(٣)
كُـنْـتَ فِـي مَـا كَـتَـبْـتَـهُ نَـائِـمَ الْـعَـيْـ
نِ فَـهَـلْ كُـنْـتَ نَـائِـمَ الأَقْـلَامِ(٤)
أَيُّـهَـا الْـمُـشْـتَـكِـي إذَا رَقَـدَ الإعْـ
ـدَامَ لَا رَقْـدَةٌ مَـعَ الإعْـدَامِ(٥)

= الأوباش، لذا فهم لا يحسنون الإنشاد، كما أنهم يفتقدون إلى ملكة شعرية سليمة من العجمة، لذا فهم لا يُساوون شيئاً.

(١) المقة: المحبَّة. يُنهي الشاعر قصيدته ببيت يحمل شيئاً من الاعتذار المهذّب، إنه عتاب، والعتاب في كلام ودّ، فيه من الصراحة الشيء الكثير، وبذا يتمّ غسل القلوب بعبير الصدق ولون المحبَّة، وقد صاغه الشاعر درًّا يُزيّن به قصيدته بنظم بديع وأسلوب بليغ.

(٢) و (٣) البدرة: ألف دينار أو عشرة آلاف درهم. يسخر الشاعر ممن زعم أنه أنشأ قصيدته في المنام ليمدح سيف الدولة، وقد سمع المتنبي كلاماً لا يدلّ على أنه شعر، والمتنبي ينقد الشعر نقد عليم خبير، فإذا بما سمع لا يُساوي شيئاً، فإذا به يُنعم عليه ببدرة من المال في المنام، وبذلك كانت جائزته حلماً كادّعائه، وفجأة كانت صحوة، فإذا بالجائزة تُساوي الكلام المبتذل.

(٤) يُردف الشاعر بسخرية مؤلمة أن المسكين قد أنشأ قصيدته الرديئة فإذا بخطّه الرديء، فيسأله هل كتب قصيدته وهو في حال نوم؟

(٥) الإعدام: سوء الحال والفقر المدقع. يُخاطب الشاعر من يُصاحبه سوء الحال والفقر =

إِفْتَحِ الْجَفْنَ وَاتْرُكِ الْقَوْلَ فِي النَّوْ
مِ وَمَيِّزْ خِطَابَ سَيْفِ الأَنَامِ[١]
أَلَّذِي لَيْسَ عَنْهُ مُغْنٍ وَلَا مِنْـ
ـهُ بَدِيلٌ وَلَا لِمَا رَامَ حَامِ[٢]
كُلُّ آبَائِهِ كِرَامُ بَنِي الدُّنْـ
ـيَا وَلَكِنَّهُ كَرِيمُ الْكِرَامِ[٣]

إذا سلمت سلم الناس

قال وقد عوفي سيف الدولة مما كان به:

[البسيط]

أَلْمَجْدُ عَوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ وَالْكَرَمُ
وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الأَلَمُ[٤]
صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْغَارَاتُ وَابْتَهَجَتْ
بِهَا الْمَكَارِمُ وَانْهَلَّتْ بِهَا الدِّيَمُ[٥]

= كيف استطاع النوم وهو على هذه الحالة من البؤس وكيف استطاع الفقر أن ينام إلى جانبه.

(١) الأنام: الخلق. ينعى الشاعر على هذا المسكين عدم معرفته بسيف الدولة، إنه الأمير، فلا يمكن أن يُخاطب مخاطبة سائر العامة، فلا بدّ للمادح من الارتفاع إلى مستوى ممدوحه ليكون الشاعر قاصداً مدحه بما يليق به ويستحقّه.

(٢) يمدح المتنبي سيف الدولة، وهو ينبّه ذلك المسكين إلى ما يجب في حق الأمير، إنه واحد بذاته لا يمكن أن يحلّ غيره محلّه ولا يقوم مقامه، يعمّ فضله البشر، وهو عظيم القدر، وبإمكانه أن يفعل ما يشاء، بيده قدرة نافذة مع أقرانه من الملوك والأمراء.

(٣) يلتفت الشاعر إلى أجداد الأمير، إنهم كرام توارثوا النبل والسيادة أجيالاً متلاحقة، فكانوا أكرم البشر، والأمير أكرم آل بيته، فهو أكرم أهل زمانه.

(٤) و (٥) ورد البيتان الأولان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٣. يُخاطب الشاعر الأمير بفرح، فقد عادت إليه العافية، فإذا بالمجد يستردّ قُواه، فالمجد يستمدّ وجوده من وجود الأمير، حتى الكرم يعود إليه بهاؤه بعودة صحة الأمير؛ وهذا ما يجعل =